بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقدمة:

الحمد لله الذي حَبَّب إلينا الإيمان وزيَّنه في قلوبنا، وكَرَّه إلينا الكفر والفسوق والعصيان، رفع من شأن العلم وأهله بقوله: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾[1]، والصلاة والسلام على خير من دعا إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة محمد – ﷺ – وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد

فانطلاقًا من حرص أبناء هذه الأمة على حفظ تراثها حتى تبقى مملكتها عزيزة مهابة في كل زمان ومكان، سارعت كثير من الأقلام إلى تدوين هذا التراث، والعقول قبل ذلك إلى حفظه، حتى يكون معلمًا ودليلاً يصل الحاضر بالماضي، وقريحة الفكر الحديث بالقديم.

وفي عالم التصنيف اللغوي والأدبي ظهرت مُصَنَّفات صنعتها العقول العربية، تحمل بين ثناياها كثيرًا من الأبواب المتفرقة في لغة العرب وآدابها – شعرًا وأمثالا وخطب وأقوالا وأخبارًا وغير ذلك –، دون التزام لمنهجها في سرد ذلك كله؛ لأنها عبارة عن دروس ومجالس متفرقة يملي فيها الأساتذة على تلامذتهم ما تنتجه عقولهم، فيتم تسجيل ذلك كله وتدوينه في تلك المُصَنَّفات التي تسمى بالأمالي.

وفي بلاد الأندلس ومن خلال عالم الأمالي وفي القرن الرابع الهجري ظهر كتاب (الأمالي) لأبي علي القالي يحمل بين طياته كثيرًا من أبواب اللغة والأدب.

وما إن ظهر هذا الكتاب حتى كان حديث اللغويين والأدباء،وما يزال هذا الكتاب يرتقي في نفوس قارئيه حتى غدا في يوم من الأيام من أهم وأبرز المُصَنَّفات اللغوية والأدبية في عصره وبعد عصره.

وفي القرن الخامس الهجري وفي بلاد الأندلس أيضًا، والتي عَوَّدتنا كبار المفكرين والأدباء وأهل اللغة، يلاد مُصَنَّفاتهم كما حدث مع صاحب الأمالي، نجد هذا الكتاب صورة

(1) المجادلة من الآية 11.

حيَّة تتجسَّد وتنبض في أحضان صاحب المُصَّنفات المشهورة والمتنوعة، الذي يُعَدُّ من العلامات البارزة في عالم التصنيف العربي أيضًا، والذي ينتمي إلى أصحاب البيوتات في الشرف والرياسة، إنه أبو عبيد البكري.

وأبو عبيد البكري أحد العلماء الذين تربو على مائدة تلك المُصَنَّفات التي صنعها أبو علي القالي،فهو وإن لم يكن تلميذًا له عن طريق الرؤية والسماع منه فقد كان تلميذًا له عن طريق تلك المُصَنَّفات التي عكف على قراءتها وفهمها، حتى ظهر نتاج ذلك مُصَنَّفً يهدف إلى الشرح والتعليق، ثم التعقيب والاستدراك على أبرز مُصَنَّفات أستاذه، وذلك بعنوان **(سمط اللآلي في شرح نوادر أبي علي القالي).**

ثم بدا لأبي عبيد البكري بعد ذلك فصل تلك التعقيبات والاستدراكات في مُصَنَّف موجز ومستقل يكون هدية إلى الخليفة في بلاد الأندلس، وهو عبد الرحمن الناصر، وذلك بعنوان: **(التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه).**

وقد تنوَّعت تلك التعقيبات والاستدراكات في هذا المُصَنَّف، بين جانب التصريف والإعراب، ثم نسبة الأشعار التي أهمل نسبتها، أو تصويب تلك النسبة، ثم توضيح الخلط الواضح في رواية بعض الأبيات الشعرية ونسبتها إلى شاعر واحد، وهي لشاعرين مختلفين، ثم توجيه الدلالة بعد تصويب هذا الخلط، وكذلك تصويب بعض الأبيات في حالة التقديم والتأخير، وما يتبع ذلك من اختلاف في الدلالة، وإن كانت غالب التنبيهات في هذا الكتاب تأتي عن طريق رواية الشعر العربي.

والشِّعْر كما لا يخفى على أحد من الدارسين هو نبض هذه الأمة، كان وما زال له أهميته ومكانته في نفوس العرب منذ الجاهلية وإلى الآن، تفخر كل قبيلة بشعرائها وتعتز بهم، وتقدمهم على غيرهم.

ولم لا، وهو لسانها الذي يترجم عن آمالها وآلامها، ومن خلاله يشار إليها بالبنان في عالم القبائل العربية، وربما في علاقاتها الخارجية ؟.

ومن خلال تلك التعقيبات والاستدراكات الخاصَّة بمجال دلالة الألفاظ في رواية الأشعار كانعنوان البحث والدراسة.

فمن خلال هذه الدائرة أفردت الألفاظ الخاصَّة بذلك في كتاب التنبيه، ثم قارنت بينها وبين نصوص الأمالي، ثم بأقوال أهل اللغة والأدب، وفي النهاية نأتي بتصويب الرواية وتوجيه الدلالة، سواء أكان ذلك عن طريق تأييد أبي عبيد البكري في تنبيهاته أم رفض لها وتأييد لرواية صاحب الأمالي، ودفع تلك الأوهام التي وُسِم بها، وهو منها براء أو استدراك على كليهما من خلال ترجيحي لأقوال أهل اللغة والأدب في هذا المجال.

وعرض ذلك كله يأتي من خلال عنوان هذه الدراسة: **(تصويبات أبي عبيد البكري دلالة الألفاظ في رواية الأشعار " دراسة تحليلية مقارنة في كتاب التنبيه ")**

وقد تعدَّدت التصويبات في هذا الكتاب، فمنها ما يأتي على شكل التنبيهات الخاصة بمجال اختلاف الرواية واتفاق الدلالة، ومنها ما يأتي عن طريق اتفاق الرواية واختلاف الدلالة، ثم اختلاف الرواية والدلالة معًا.

لذلك اقتضت طبيعة الدراسة هنا أن يتم تقسيم البحث فيها إلى ثلاثة تنبيهات يسبقها تمهيد، تأتي العناوين الخاصة بها على النحو الآتي:

التمهيد: البكري والتنبيه.

التنبيه الأول: اختلاف الرواية واتفاق الدلالة.

التنبيه الثاني: اتفاق الرواية واختلاف الدلالة.

التنبيه الثالث: اختلاف الرواية والدلالة.

الخاتمة: تدوين أهم النتائج الخاصة بهذه التنبيهات.

وقد تَمَّ تسجيل الألفاظ الخاصة بهذه التنبيهات عن طريق اتباع الرقم الخاص بكل تنبيه منها على الترتيب، ثم ذكر الرقم الخاص بهذا التنبيه عند صاحب الأمالي ووضع الروايتين معًا في بداية الصفحة برواية الأمالي، وذلك حتى يمكن المقارنة بينهما، مع ذكر التنبيهات الخاصة بالجزء الأول، ثم الثاني بعد ذلك كما صنع المؤلِّف، مع العلم بأن صاحب التنبيه قد رمز إلى اسمه (ع) عند تنبيهاته في بعض الأحيان، ثم الترجمة للشعراء المغمورين فقط؛ لأن الأعلام منهم أعلام في كل زمان ومكان.

وقد اعتمدت في بيان دلالة الألفاظ على معاجم اللغة، ثم على المصادر الأدبية في توجيه

الدلالة العامة للأبيات، ثم يأتي التحليل والمقارنة اعتمادًا على الطبعة الخاصة بالمكتبة العصرية ببيروت، التي جمعت بين الأمالي وذيله والنوادر والتنبيه في مجلد واحد، وذلك لتميُّزها عن بقية الطبعات بكتابة الأرقام الخاصة بكل تنبيه، وموضعه في كتاب الأمالي، مع الاستعانة بطبعة دار الحديث والآفاق ودار الكتب العلمية، التي لا تختلف عن هذه الطبعة إلا في هذا الأمر.

وفي الختام أدعو الله العلى القدير حسن القبول ودوام الوصول إلى ابتغاء مرضاته، والعفو عن الوهم والخطل والتقصير والزلل.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ ﴾ (1).

(1)البقرة من الآية 32.

التمهيد:

من خلال المحاور الآتية يمكن أن نتعرف على الملامح الخاصة بهذه الشخصية البكرية، وأبرز الشخصيات التي أثَّرت فيها حتى سطع نجم صاحبها في سماء العلم والثقافة بوفرة مُصَنَّفَاته وتنوِّعها:

أ- اسمه ونسبه وميلاده

عبد الله بن عبد العزيز محمد بن أيوب بن عمرو بن أبي مصعب أبو عبيد البكري الأندلسي، ولد في سنة 432هـ = 1040م، والبكري نسبة إلى قبيلة بكر بن وائل، كان أميرًا بساحل كورة لَبْلَة[1]، وصاحب جزيرة شَلْطِيش[2]، وكان متقدمًا من مشيخة أولى البيوت وأرباب النعم بالأندلس، فغلبه ابن عباد على بلده وعلى سلطانه فلاذ بقرطبة،ثم صار إلى محمد بن معن صاحب المَرِيَّة[3] فاصطفاه لصحبته وآثر مجالسته والأنس به ووسع راتبه[4]، وكانت مدة البكرين بشَلْطِيش وما إليها إحدى وأربعين سنة[5].

(1) لَبْلَة: كورة بالأندلس كبيرة، وهي في غرب قرطبة، بينها وبين قرطبة على طريق إشبيلية خمسة أيام أربعة وأربعون فرسخًا، وبين إشبيلية اثنان وأربعون ميلاً، وهي بريَّة بحرية غزيرة الفضائل والثمر والزرع والشجر. معجم البلدان. ياقوت الحموي 10/5 – دار الفكر – بيروت. وينظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق. ابن إدريس الحمودي 541/2 – عالم الكتب – بيروت – الطبعة الأولى 1409هـ - 1989م.

(2) شَلْطِيش: بلدة بالأندلس صغيرة في غربي إشبيلية على البحر، وجزيرة شَلْطِيش يحيط بها البحر من كل ناحية وليس لها سور ولا حظيرة، وإنما هي بنيان يتصل بعضها ببعض ولها سوق، وبها صناعة الحديد الذي يعجز عن صنعه أهل البلد. ينظر: معجم البلدان 359/3، والوافي بالوفيات للصفدي تحقيق. أحمد الأرنؤوط، تركي مصطفى 155/17 – دار إحياء التراث – بيروت – 1420هـ - 2000م، ونزهة المشتاق 542/2.

(3) المَرِيَّة: وهي من مشهور مدن الأندلس، وهي على ساحل البحر، ولها القلعة المنيعة المعروفة بقلعة خيران بناها عبد الرحمن الناصر وعظمت في دولة المنصور بن أبي عامر، وولى عليها مولاه خيران فنسبت القلعة إليه. وبها من صنعة الديباج ما تفوق به على سائر البلاد وفيها دار الصناعة. نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. أحمد بن محمد المقري التلمساني. تحقيق د. إحسان عباس 162/1 – دار صادر – بيروت 1388هـ.

(4) الوافي بالوفيات 155/17. وينظر: الصلة لابن بشكوال. تحقيق. إبراهيم الإبياري 437/2 – دار الكتاب المصري – القاهرة – الطبعة الأولى 1410هـ - 1989م، وفتح الطيب 92/1، واكتفاء القنوع بما هو مطبوع. أدورد فنديك 55/1 – دار صادر - بيروت 1986م.

(5) الحلة السيراء. أبو عبد الله القضاعي. تحقيق د. حسني مؤنس 184/2 – دار المعارف – القاهرة – الطبعة الثانية 1985م.

وقد ذكرت بعض كتب التراجم أن أبا عبد الله بن عبد العزيز البكري من مرسية[1] من أعيان أهل الأندلس وأكابرهم، فاضل في معرفة الأدوية المفردة وقواها ومنافعها وأسمائها ونعوتها وما يتعلق بها، وله من الكتب (كتاب أعيان النبات والشجريات الأندلسية[2]).

وهذا الرأي يناقض الرأي الأول؛ لأنه من لَبْلَة وليس من مرسية، حيث ذكر عبد العزيز الميمني عن هذا الرأي بأنه وهم فإنها من شرق الأندلس، وقد اتفق كلامهم على أن البكري من غربها[3].

ولى جده أبو زيد محمد بن أيوب وَلْبَة[4] وشلطيش وما بينهما من الثغر الغربي وأصلهم من لَبْلَة،وكان أيوب بن عمرو قد ولى خطة الرَّد بقرطبة، وولى أيضًا القضاء ببلده.

وأبوه عبد العزيز كنيته أبو المصعب، وكان جوادًا ممدحًا. وفيه يقول أبو علي إدريس بن اليماني من قصيدة فريدة، وكان إدريس هذا مقدمًا في فحول شعراء الأندلس: [الطويل]

فدى للتي لم يثن لين فؤادها * على كبد جار الفراق فآدها[5]**

من البيض ريًّا في رداء ذوائب * يباري سواد العين منها سوادها[6].**

وقد لُقِّب أبو عبيد البكري بالوزير؛ لأنه وَزَر لأبيه، أو لمصاحبته الملوك، وإن لم يكن وزيرًا على الحقيقة، على ما جرى به العرف في الأندلس. والناس كانوا ولا يزالون يتوسَّعون في الألقاب بلا حساب، على أن أبا عبيد لم تكن منزلته في نفوس أهل عصره أقل محَادَة من

(1) مَرسِية: وهي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، وسماها تدمير بتدمر الشام فاستمر الناس على موضعها الأول، وهي ذات أشجار وحدائق محدقة بها. معجم البلدان 107/5.

(2) عيون الأنباء في طبقات الأطباء. أبو العباس السعدي. تحقيق د.نزار رضا 500/1 – دار مكتبة الحياة.

(3) سمط الآلي في شرح أمالي القالي.أبو عبيد البكري. تحقيق. عبد العزيز الميمني (مقدمة المحقق) – دار الحديث – بيروت – لبنان – الطبعة الثانية 1404هـ - 1984م.

(4) مدينة وَلْبَة: وهي مدينة صغيرة متحضرة عليها سور من حجارة، وبها أسواق وصناعات، وهي مطلة على جزيرة شلطيش. نزهة المشتاق 2/ 541، 542.

(5) فأده يفأده فأدًا: أصاب فؤاده , وفئد فأدا: شكا فؤاده. وأصابه داء في فؤاده. لسان العرب. ابن منظور الإفريقي المصري (ف أ د) 329/3 – دار صادر – بيروت – الطبعة الأولى.

(6) الحلة السيراء 184/2.

منزلة الوزراء[1].

ولكن هذا العالم بفنون القول وضروبه وآدابه ولغته لم تسلم حياته من كبوات، فقد كان أعظمها أنه كان معاقرًا للخمر، ولكنه مع ذلك كان يحترم العلم وأهله، فحكى أنه كان يمسك كتبه في سبائب[2] الشرب وغيره إكرامًا لها.

وكأنه قد أحسَّ بجرم هذه المعصية، وحتى يعيد إلى نفسه تقواها فقد جمع كتابًا في أعلام نبوة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم– أخذه الناس عنه.

ب- شيوخه وتلامذته

حدَّثتنا كتب التراجم أن أبا عبيد البكري قد " روى عن أبي مروان بن حيان، وأبي بكر المُصْحفي، وأبي العباس العُذْري، وأجاز له أبو عمر بن عبد البر الحافظ وغيره[3] ".

ولكن إذا كانت كتب التراجم لم تذكر غير هؤلاء من شيوخ أبي عبيد البكري فبلا شك فإن شيخه الحقيقي الذي تلقى عنه العلم بالقراءة والاطلاع، وليس بالسماع والمشافهة هو أبو علي القالي صاحب الأمالي[4].

وقد ذكر الشيخ / مصطفى السقا ذلك بقوله: " أما أنا فأرى البكري من ثمرات ذلك العراس الأدبي واللغوي، الذي غرسه أبو علي القالي في إقليم الأندلس. فقد تخرج بكتب أبي علي القالي التي ألَّفها، والتي حملها من المشرق، من مخطوطات منسوبة، مقروءة على مؤلفيها،

(1) معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. أبو عبيد البكري.تحقيق. مصطفى السقا (مقدمة المحقق) – عالم الكتب – بيروت – الطبعة الثالثة 1403هـ.

(2) قال أبو عمرو: السبوب: الثياب الرقاق واحدها سبّ، وهي السبائب واحدها سبيبة. لسان العرب (س ب ب) 456/1.

(3) الصلة 437/2. وينظر: الوافي بالوفيات 155/17، وتاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام للذهبي. تحقيق د.عمر عبد السلام تدمري 208/33 – دار الكتاب العربي – بيروت – لبنان– الطبعة الأولى 1407هـ – 1987م، وسير أعلام النبلاء للذهبي. تحقيق. شعيب الأرناؤوط، محمد نعيم العرقسوسي 35/19 – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة التاسعة 1413هـ.

(4) هو أبو علي إسماعيل بن القاسم بن عيذون بن هرون بن عيسى بن محمد بن سلمان مولى محمد بن عبد الملك بن هرون، يعرف بالقالي نسبة إلى قاليقلا، ولد بمنازجرد وهي من ديار بكر، وقدم بغداد وسمع بها، وسافر إلى الأندلس فاستوطنها، وروى بها عن أبي القاسم البغوي، وأبي يعلى الموصلي وغيرهم، وروى عنه أبو بكر محمد بن الحسن الزبيدي الأندلسي، وكان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو البصريين، وإنما قيل له القالي لأنه سافر إلى بغداد مع أهل قاليقلا فبقى عليه. ولد سنة ثمان وثمانين ومائتين، وتوفي بقرطبة في ربيع الآخر سنة ست وخمسين وثلاثمائة. ينظر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى. ابن ماكولا 104/7 – دار الكتب العلمية – الطبعة الأولى 1411هـ، واللباب في تهذيب الأنساب لأبي الحسن الشيباني الجزري 9/3 – دار صادر – بيروت 1400هـ - 1980م، وتاريخ الإسلام 138/26.

مضبوطة أتم الضبط، ومصحَّحة غاية التصحيح، بسماع أبي عليّ، أو بروايته عن مشيخة العراق، من أمثال ابن دريد أو أبي عبيد، أو نفطويه أو ابن السكيت أو الأصمعي، أو غير هؤلاء من أئمة اللغة، وليس من المجازفة أن أقول اعتمادًا على المعجم وعلى اللآلي: إن البكريّ ورث وقرأ كثيرًا من كتب القالي التي عليها خطّه، أو خطوط أصحابه. بلى، قد تمرَّس البكري بتواليف القالي تمرسًا، وفَلاها فلْيًا، واستطاع بثقافته الممتازة أن يشرحها، ويستدرك عليها، وينقدها نقد الصيرفيّ للدراهم؛ وتلك منزلة عالية في الإحاطة باللغة والشعر والتاريخ والأنساب، عرفها له أهل عصره ومترجموه، فوصفوه بالتقدم في فنونه، ورواج تواليفه، حتى كانت تتهادى الملوك في عصره[1]".

وأما عن **تلامذته**، فقد روى عنه محمد بن عمر المالقي، وأبو بكر بن عبد العزيز اللخمي[2].

وقد ذكر ابن خير الأشبيلي أن " تواليف أبي عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري – رحمه الله– وجميع رواياته عن شيوخه " روايتي لذلك عن الوزير الكاتب أبي بكر محمد بن عبد الملك بن عبد العزيز اللخمي، والفقيه أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن القرشي المعروف بابن الأحمر – رحمهما الله – كلاهما عنه[3]".

ج- مُصَنَّفاته

لا شك أنَّ أبا عبيد البكري " كان من أهل اللغة والآداب الواسعة، والمعرفة بمعاني الأشعار والغريب والأنساب والأخبار متقنًا لما فيه،ضابطًا لما كتبه، جميل الكتب، مهتمًا بها[4]".

ومن ثَمَّ ظهر أثر ذلك في مُصَنَّفاته التي خَلَّدت ذكره في الآفاق منذ القرن الرابع الهجري وإلى الآن، حتى قيل عنه وعنها بأنه " من القلائد عالم الأوان ومُصَنِّفه، ومُقَرِّظ البيان ومُشَنِّفُه بتواليف كأنها الخرائد،وتصانيف أبهى من القلائد، حَلَّى بها من الزمان عاطلا، وأرسل بها

(1) معجم ما استعجم (مقدمة المحقق).

(2) ينظر: تاريخ الإسلام 208/33.

(3) فهرسة ابن خير الأشبيلي. أبو بكر بن محمد بن خليفة الأموي. تحقيق. محمد فؤاد منصور 296/1، 297 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان – الطبعة الأولى 1419هـ - 1998م.

(4) الصلة 437/2.

غمام الإحسان هاطلا، ووصفها في فنون مختلفة وأنواع، وأقطعها ما شاء من إتقان وإبداع. وأما الأدب فهو كان منتهاه ومحل سُهاه، وقُطْب مدارِه، وفَلَك تمامه وإبداره. وكان كل ملك من ملوك الأندلس يتهاداه تهادي المُقَلِ للكرى والآذان للبُشْرى[1]".

وقد حدَّثتنا كتب التراجم عن اثني عشر مُصَنَّفً لهذا العالم في عدة مجالات من اللغة والآداب والجغرافيا وغيرها، وهي:

1- **اشتقاق الأسماء.**
2- **الإحصاء لطبقات الشعراء.**
3- **أعلام نبوة نبينا محمد – صلى الله عليه وسلم –.**
4- **أعيان النبات والشجريات الأندلسية.**
5- **التدريب والتهذيب في ضروب أحوال الحروب.**
6- **التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه.**
7- **سمط اللآلي في شرح نوادر أبي علي القالي.**
8- **شفاء عليل العربية.**
9- **صلة المفصول في شرح أبيات الغريب المُصَنَّف لأبي عبيد.**
10- **فصل المقال في شرح كتاب الأمثال لأبي عبيد.**
11- **المسالك والممالك.**
12- **معجم ما استعجم من البلاد والمواضع والنبات[2].**

د- نماذج من شعره

تتجلى براعة أبي عبيد البكري في مجال نظم الشعر، وكيف لا وهو من أرباب اللغة

(1) قلائد العِقيان ومحاسن الأعيان. ابن خاقان. حققه د.حسين يوسف خربوش ص 615 – عالم الكتب الحديث – الطبعة الأولى 1431هـ – 2010م.

(2) ينظر هذه المُصَنَّفات في: معجم ما استعجم 637/2، والوافي بالوفيات 155/17، وتاريخ الإسلام 208/33، وسير أعلام النبلاء 35/19، وفهرسة ابن خير الإشبيلي 307/1، 308، وعيون الأنباء 500/1، وبغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة. جلال الدين السيوطي. تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم 49/2 – المكتبة العصرية – صيدا – لبنان، وكشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون. حاجي خليفة 161/1، 1050/2، 1664، 1737 – دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان , واكتفاء القنوع 55/1.

والأدب. ومن نماذج شعره في [الطويل]:

أجد هوى لم يَأْلُ شوقًا تجدَّدا *** ووجدًا إذا ما اتهَم الحب أَنْجَدَا

وما زال هذا الدهر يَلْحَنُ في الورى *** فيرفع مَجْرُورا ويَخْفِضُ مُبْتَدا

ومَنْ لمْ يُحِطْ بالناس علمًا فإنني *** بَلَوتُهُمْ شتَّى مَسُود وسَيِّدا[1].

وكان معاقرًا للرَّاح لا يصحو من خمارها أبدًا، فلما دخل رمضان قال يخاطب نديمين له من [الطويل]:

خَلِيلَيَّ إني قد طَرِبْتُ إلى الكاس *** وتُقْتُ إلى شَمِّ البَنَفْسَج والْآسِ

فقُوما بنا نلهو ونَستمع الغِنَا *** ونَسْرِق هذا اليوم سِرًّا من الناسِ

فإن نَطَقُوا كنّا نصارى ترهَّبُوا *** وإن غَفَلوا عُدْنا إليهم من الراسِ

وليس علينا في التعَلُّل ساعةً *** وإن وقعتْ في عُقْب شعبانَ من باسِ [2].

وقال يخاطب أبا الحسن إبراهيم بن محمد بن يحيى المعروف بابن السقاء وزير أبي الوليد بن جهور بقرطبة، وقد خرج رسولاً إلى باديس بن حبوس بغرناطة: [الطويل]

كذا في بروج السَّعْدِ يَنْتَقِل البَدْرُ *** ويَحْسُنُ حيث احْتَلَّ آثارَهُ القَطْرُ

وتَقْتسِمُ الأرضُ الخُطُوطَ فبقعة *** لها وافر منها وأُخْرَى لها نَزْرُ

لذل مكان غاب عنه مُمَلِّكي *** وعَزَّ مكانٌ حَلَّهُ ذلك البَدْرُ

فلو نَقَلَتْ أَرْضٌ خُطَاها لأَقْبَلَتْ *** تَهْنيه بغدادٌ بُقْربك أو مِصْرُ[3].

(1) الذخيرة. شهاب الدين القرافي. تحقيق. محمد حجي 238/3 – دار الغرب – بيروت – 1994م. وينظر: قلائد العقيان ص 618.

(2) الوافي بالوفيات 155/17. وينظر: الذخيرة 238/3، والحلة السيراء 185/2.

(3) الذخيرة 237/3. وينظر: قلائد العقيان ص 619، 620.

هـ- نماذج من نثره

ما أجمل تلك العبارات التي تحمل هذا العنوان، وكأن مُصَنِّفها قد نظمها في عقد ثمين، وأهداها إلى من تهدى له.

ومن نماذج ذلك: "له من كتاب يهنىء فيه المعتمد بالفتح الذي كان سنة تسع وسبعين وأربعمائة: أطال الله بقاء سيدي ومولاي الجليل القدر الجميل الذِّكر ذي الأيادي الغُرّ، والنِّعَم الزُّهر، وهَنأ ما مَنَحَه من فتح ونصر، واعتلاء وقهر. بطالع السعد: يا مولاي أُبْتَ، وبسانح اليُمن عُدتَ، وبكَنَف الحِرْز عُذْت، وفي سبيل الظفر سرتَ، وبَقَدم البِرّ سعيتَ، وبجنّة العِصْمة أَتيتَ، وبِسَهم السَّداد رَميت، فأصميت. صَدَرٌ عن أكرم المقاصد، وأشرف المشاهد، وعَوْدٌ بأجلّ ما ناله عائد، وآبَ به وارد. فُتوحٌ أضحكت مَبْسِمَ الدَّهر، وسَفرتْ عن صفحة البشْر، ورَدّت ماضيَ العُمْر، وأكبتْ واري الكُفر، وهَزّتْ أعطافَ الأيَّام طَرَبًا، وسَقتْ أقدَاح السرور نَخَبًا ، وثَنَتْ آمالَ الشِّرك كَذِبًا، وطوتْ أحشاءَ الطاغية رَهَبًا ، فذِكْرُها زادُ الراكب، وراحة اللاغب، ومُتْعةُ الحاضر، ونُقلة المسافر، بها تُنْفَض الأحلاسُ [1] في كلّ منزِل، وتُقْعَد أطرافُ الحبال وتُطْلَقُ. شَملتِ النِّعمة، وجَبَرت الأمّة، وجَلَتِ الغُمّة، وشَفَتِ المِلَّة، وبَرّدت الغُلّة، وكشفت العِلّة: [المديد]

كان داء الإشراك سيفُك واشتدّت * شَكاةُ الهدى، وكان طبيبا**

فغدا الدين جديدًا، والإسلام سعيدًا، والزمان حميدًا، وعَمودُ الدين قائمًا، وكتاب الله قائمًا، ودعوة الإيمان منصورة، وعين المُلك قريرة، فهنَّأ الله مولانا وهنَّأنا هذه المِنَحَ البهية مطالعها، السهيَّة مواقعُها، المشهورة آثارها، المأثورة أخبارها[2]... ".

و- وفـــاته

رحل أبو عبيد البكري عن عالم الأحياء بعد أن شهدت له الأيام بعلو قدره وسعة علمه، وذلك في شوال سنة سبع وثمانية وأربعمائة (487هـ = 1094م[3])، وقيل توفي في شوال سنة

(1) الأحلاس: هو الكساء الذي على ظهر البعير تحت القتب. شبه البيوت بها للزومها ودوامها. ينظر: لسان العرب (ح ل س) 55/6.

(2) الذخيرة 235/3.

(3)ينظر: الوافي بالوفيات 155/17، والصلة 437/2، وسير أعلام النبلاء 35/19، وبغية الوعاة 49/2، وكشف الظنون 1050/2، 1664، واكتفاء القنوع 55/1.

تسع وثمانية وأربعمائة (489هـ = 1096م[1]).

والحقيقة العلمية تقول بأنَّ أبا عبيد البكري كان من هؤلاء العلماء الأعلام في سماء اللغة والأدب وغيرهما من الفنون الأخرى، فاستحق بذلك هذا الوصف الذي وصفه به ابن بسام بقوله: " كان بأفقنا آخر علماء الجزيرة بالزمان، وأجلهم في البراعة والإحسان، كأن العرب استخلفته على لسانها، والأيام ولته زمام حدثانها[2]".

ز- التنبيه

ظهر هذا الكتاب في غضون القرن السابع الهجري وبالتحديد في سنة 662هـ = 1063م كما هو مدون في آخر التنبيهات على صاحب الأمالي " آخر كتاب التنبيه على أوهام أبي على في أماليه. فُرغ من تعليقه يوم الاثنين لعشر بقين من صفر سنة اثنتين وستين وستمائة. أحسن الله تقضِّيها بالقاهرة المحروسة[3]".

وقد أفرد أبو عبيد البكري تنبيهاته على صاحب الأمالي في هذا الكتاب الموجز المستقل كما ذكرت في مقدمة الدراسة بعد أن قام بإيجازها من **(سمط اللآلي في شرح نوادر أبي علي القالي)**.

وقبل أن نتعرف على محاور هذا الكتاب كان لابد من بيان جملة أبواب اللغة والأدب التي تناولها صاحب الأمالي، والتي ذكرها على سبيل الإجمال في مقدمة كتابه بقوله: " وأودعته فنونًا من الأخبار، وضروبًا من الأشعار، وأنواعًا من الأمثال، وغرائب من اللغات، على أني لم أذكر فيه بابًا من اللغة إلا أشبعته، ولا ضربًا من الشعر إلا اخترته، ولا فنًّا من الخبر إلا انتحلته، ولا نوعًا من المعاني والمثل إلا استجدتُه، ثم لم أخله من غريب القرآن وحديث الرسول – صلى الله عليه وسلم – ، على أنني أوردت فيه من الإبدال ما لم يورده أحد، وفَسَّرت فيه من الاتباع ما لم يُفسره بشر[4]".

---

(1) ينظر: الحلة السيراء 185/2.

(2) الذخيرة 469/8.

(3) التنبيه على أوهام أبي علي القالي في أماليه.أبو عبيد البكري. تحقيق.صلاح بن فتحي هلل، سيد بن عباس الجليمي ص 840 – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م.

(4) الأمالي لأبي علي القالي.تحقيق.صلاح الدين بن فتحي هلل، سيد بن عباس الجليمي 16/1 – المكتبة العصرية – صيدا – بيروت – الطبعة الأولى 1422هـ - 2001م.

ثم يأتي كتاب التنبيه لأبي عبيد البكري تعقيبًا واستدراكًا على تلك الموضوعات معتمدًافي بيان ذلك على ثلاثة محاور نَصَّ عليها في مقدمة كتابه. ويمكن توزيع هذه المحاور على النحو الآتي:

المحور الأول: تنبيهات المنصف لا المتعسف المعاند

ويظهر أثر هذا المحور من خلال تلك العبارات التي سَطَّرها أبو عبيد البكري بقوله: " الحمد لله خيرُ ما بُدىء به الكلام وخُتِم؛ وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم. هذا كتاب نبهت، على أوهام أبي على في أماليه، تنبيه المنصف لا المتعسف ولا المعاند".

المحور الثاني: الاحتجاج بالشاهد والدليل

وقد ذكر هذا المحور صراحة في قوله عن هذه التنبيهات: "محتجًّا على جميع ذلك بالشاهد والدليل، فإني رأيت من تولَّى مثل هذا من الرد على العلماء والإصلاح لأغلاطهم، والتنبيه على أوهامهم، لم يعدل في كثير مما ردّه إليهم، ولا أنصف في جمل مما نسبه إليهم".

المحور الثالث: بيان مكانة أبي على القالي

بالرغم من أوهام أبي علي القالي في أماليه وتنبيه المُصَنِّف عليها إلا أن ذلك لا يغض من قيمة هذا الكتاب ولا من قيمة صاحبه على حَدِّ قول المُصَنِّف: " وأبو علي – رحمه الله – من الحفْظ وسعة النُّبل، ومن الثقة في الضبط والنقل، بالمحل الذي لا يُجهل، وبحيث يقصُر عنه من الثناء الأحفل، ولكن البشر غير معصومين من الزَّلل، ولا مبرئين من الوهم والخَطَل، والعالم من عُدَّت هفواته، وأحصيت سقطاته: [الطويل] كفى بالمرء نبلاً أن تُعَدَّ معايبه "[1].

وبعد بيان تلك المحاور نرى أن تنبيهاته في المحور الأول تنبيهات المنصف لا المتعسف والمعاند كما قال، لكن في بعض الأحيان، حيث تبدو في بعضها الآخر تنبيهات المتعسف والمعاند؛ وذلك لأن بعض تلك الروايات والدلالات التي استدركها على صاحب الأمالي لا أساس لها، وربما يعود ذلك إلى أنَّ أبا عبيد البكرى لم يطلع على جميع النسخ الخاصة بهذا الكتاب فوقع في هذا الوهم.

(1) ينظر هذه المحاور في: التنبيه ص 758.

وأما احتكامه إلى الشاهد والدليل في هذه التنبيهات كما يبدو في المحور الثاني فقد أصاب في بعضها، وجانبه الصواب في الأخرى.

وأما بيان مكانة أبي علي القالي في المحور الثالث فتبدو في استعمال تلك الجملة الاعتراضية دائمًا عند كل تنبيه، وذلك بقوله: وأنشد أبو علي – رحمه الله–، أو قال أبو علي – رحمه الله–؛ ولكن تتلاشى هذه المكانة في بعض الأحيان عند اتهام صاحب الأمالي في بعض تنبيهاته بالوهم والقول المنكر وتغليظ القول له في ذلك.

ويشترك أبو علي القالي وأبو عبيد البكري في الهدف من صنع كل منهما لكتابه، وهو الإهداء إلى الخليفة في بلاد الأندلس، حيث ذكر صاحب الأمالي في مقدمة كتابه بعد أن نَبَّه إلى أهمية هذا الكتاب ومكانته في التصنيف اللغوي والأدبي " ثم صُنْتُه بالكتمان عمن لا يعرف مقداره، ونَزَّهته عن الإذاعة عند من يجهل مكانه، وجعلت غرضي أن أُودِعَهُ من يستحقه، وأُبْديَه لمن يعرف فضله، وأجْلُبَه إلى من يعرف محلَّه، وأنشرَه عند من يشرِّفه، وأقصد به من يُعَظِّمه،

إذ بائع الجوهر – وهو حَجَر – يَصُونه بأجود صُوان، ويودعه أفضل مكان، ويقصد به من يجزل ثمنه، ويحمله إلى من يعرف قدره؛ على أنه لا يستحق بسببه أن يوصف بالفضل بائعه ولا مشتريه، ولا يستوجب أن يُحْمَد من أجل المبالغة في ثمنه مُقْتنيه؛ والعلم يُذْكر بالرجاجة طالبه، وينعت بالنباهة صاحبه، ويستحق الحمد عند كل العقلاء حاويه، ويستوجب الثناء من جميع الفضلاء واعيه؛... فغبرت برهة ألتمس لنشره موضعًا، ومكثت دهرًا أطلب لإذاعته مكانًا، وبقيت مدة أبتغي له مشرِّفًا، وأقمت زمنًا أرتاد له مشتريًّا؛ حتى تواترت الأنباء المتَّفقة، وتتابعت الصفات الملتئمة، التي لا تُخالجها الشكوك، ولا تمازجها الظنون، بأن مشرِّفَه في عصره، أفضل من ملك الروى،وأكرم من جاد باللُّهَى... سِمام العِدَى، فَيَّاض الندى... بَذَّال الأموال، مُحَقِّق الآمال... أمير المؤمنين، وحافظ المسلمين،وقامع المشركين، ودامغ المارقين،وابن عم خاتم النبيين محمد – ﷺ– عبد الرحمن بن محمد، محيي المكارم ومبتني المفاخر[1]... ".

(1) الأمالي 1/14، 15.

وقد تحقَّق الغرض نفسه عند أبي عبيد البكري في تصنيف كتاب التنبيه أيضًا، حيث ذكر في مقدمة كتابه: "فلما أوريت من هذه الفوائد كابيها، وأبديت خافيها، أعطيت بها القوس باريها، وأهديتها إلى المعتمد على الله، المُؤَيَّد بنصر الله، خَلَّد الله رايته، وثبَّت وطأته، لالتماسه أسرار الحِكَم، واقتباسه أنواع الكلم، وعنايته بأنواع العلم، وأخذه من جميعها بأوفر قسم، لا أعدمه الله نجمًا من السعد مُلِيحًا ، وطائرًا من اليُمْن سَنِيحًا[1]".

إذًا فقد اجتمع هذان العالمان على قلب رجل واحد في بيان الغرض الرئيسي من صنع كتابهما، وهو الإهداء إلى الملوك والأمراء في بلاد الأندلس، ثم إثبات تفوقهما في مجال اللغة والأدب.

(1) التنبيه ص 758.